الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم وتأثيره في الأدب العربي

د . حديد الطيب السرّاج

(الْحَمْدُ للّه الّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لّهُ عِوَجَا)الكهف١الحمدُ لله الذي أنزل القرآن الكريم على رسوله الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، معجزة خالدة ، للدلالة على صدق رسالته ، ودستورًا أبديًا لطرائق حياة الأمة الإسلامية.

لقد جاء القرآن الكريم ، متحديًا للعرب وهم أساطين البلاغة والفصاحة ، أن يأتوا بمثله ، ولو بأية ، وسخر منهم ، وأنبأهم بعجزهم ، وعجز الناس كلهم أجمعين ، ولو تظاهروا على مجاراته – تحدّاهم أن يأتوا بكتاب مثله : في حكمه ، وأحكامه ، وبراعة أسلوبه –قال تعالى : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)الإسراء٨٨ أما الإعجاز التشريعيّ والاجتماعي ، فقد تكفلت ببيانه الحياة ، وقام بشرحه العلم ، وتولّى الفكر الإسلامي تبليغه إلى الناس أجمعين .

وأما الإعجاز البلاغي ، فهو الذي أخذ بلبّ كل أديب عربيّ صادق ، شاعرًا كان ، أو كاتبًا ، أو ناقدًا ، ليعرف به مدى تأثر هؤلاء بأسلوب القرآن الكريم ، وليعرف مدى تأثير هذا الأسلوب في الأساليب الأدبية العربية وتفوقه عليها .

ولتحقيق ذلك الهدف ، قامت علوم البلاغة العربية لتقرّب إلى الأذهان فهم الجمال الفنيّ في الكتاب العزيز .

هكذا كان القرآن الكريم ، ولا يزال ، وسيظل صورة حقيقية من الأدب الحيّ الرائع في نظر الفحول من فصحاء العرب ، بعد أن جالوا في مسارحه ، وتفيؤوا ظلاله ، وأُشربوا حبّه ، وتفهّموا أسلوبه ، واهتدوا بهديه ، بتعاليمه وأحكامه ، فاتخذوه مثلهم الأعلى في السموّ الأدبيّ .. يتأثرون بأثره ويستنون بسنته . فاتجهوا بالأدب اتجاهًا جديدًا في عباراته ، وأساليبه ، ومعانيه ، وروحه .

وكان من أثر ذلك كله أن استحدثت ألفاظ جديدة لمعان مستحدثة ، وأميتت ألفاظ لم تكن مناسبة مع الحياة الجديدة ، واستبدلت الكلمات الجافية التي كانت تلائم الحياة الجاهلية بكلمات رقيقة عذبة ، لها حلاوة في الأسماع ، وأنس في القلوب ، وانتهجت مناهج في الدين ، والعلم ، والسياسة ، والاجتماع ، والأخلاق ، طلبت العبارة عنها ، وأداءها أداء يتفق وطبيعتها الناشئة فوجدت في عبارات القرآن الكريم وطرائقه في التعبير معينها ، وذخيرتها .

لقد كان العرب يحفلون بالشعر ، ويعتزون به ، فبلغ عندهم – من ناحية الأسلوب ، ومتانة العبارة غاية لن يستطيع أحد بعدهم أن يدنو منها .

أما النثر ، فكان حظهم أو حظ ما وصلنا منه ضئيلاً ، بالنسبة للشعر ، إذ نجد أن مجموعة الخطب والوصايا والمحاورات التى بين أيدينا من نثر العرب قبل الإسلام ، تشبه أو تكاد تكون صورة واحدة ، قليلة التنوع ، خالية من المعاني الإصلاحية التي تحتاج إليها الأمم في تكوينها الاجتماعي .وهي على ما فيها من نقص ، تشتمل على كثير من حوش الألفاظ وغريبها . فلما حلّ القرآن الكريم من نفوسهم محل الجلال والعظمة ، طرحوا من أيديهم زمام ذلك النثر ، وتركوه حيث ولد في البوادي ، فلم يبقى منه إلا الشيء القليل .

وعكفوا على القرآن ، يقتبسون من أسلوبه ، ويوشحّون خطبهم ورسائلهم بآياته ، ويتكلمون في موضوعات لم يكن لهم فيها من قبل مجال ، وظهر أسلوب القرآن في النثر ظهورًا بينًا ، تقرؤه في خطب الخلفاء الراشدين ، وخطباء الإسلام من بعدهم .

ذهب المتكلمون إلى أن أسلوب القرآن خارج عن أسلوب كلام العرب ، فلا يقال له مرسل ولا سجع . وذهب العلامة ابن خلدون في مقدمته إلى المذهب نفسه ، فقال : (وأما القرآن ، وإن كان من المنثور ، إلا أنه خارج عن الوصفين ، وليس يسمى مرسلاً مطلقًا ، ولا مسجعًا ، بل تفصيل آيات ، ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى ، ويثني من غير التزام صرف يكون سجعًا ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى : (اللّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللّهِ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)الزمر٢٣. وقال سبحانه : (وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)الأنعام١٢٦. ويسمى آخر الآيات منّها فواصل ، إذ ليست أسجاعًا ولا التزم فيها ما يلتزمه السجع .

×هذا ، وفارق القرآن الحكيم الشعر الموزون المقفّى بأسلوبه ، وأبى الله تعالى أن يعلّم خاتم رسله إلى الإنسانية الشعر ، فقال : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)يس٦٩، على أن الشعر الإسلامي قد تأثر في أسلوبه كثيرًا بأسلوب القرآن ، في لين عبارته ، وحلاوة كلماته ، وسلاسة أسلوبه ولطف استعاراته .

× نخلص من كل ما ذكرنا – قبل – إلى أن القرآن الكريم من جنس منثور الكلام ، في لفظه وعباراته ، ولكنه مباين لكلام الخلق في نظمه وأسلوبه ، فهو من المنثور الجامع لأرقى فنونه ، وأبلغ أنواعه ، ففيه سجع يقتضيه المقام ، وترسّل يبلغ غاية المرام ، وهو في كليهما معجز خارج عن طوق البشر .

مستخلص بحث ماجستير في الآداب

ليلى الأخيلية حياتها وشعرها

إعداد الطالبة : إلهام محمد سعيد طلال
إشراف : الدكتور عبّاس محجوب محمود

تناولت هذه الدراسة بيئة ليلى الأخيلية ودور عامر بن صعصعة في الساحة العربية وبروز الشخصيات العظيمة فيها في الجاهلية والإسلام وكان هو الأرض الخصبة التي تحركت فيها للحديث عن ليلى .

دراسة الأحداث السياسية وانطلاقة الإسلام العملاقة في مرحلة نشوء ليلى

أحداث الفتوحات التي امتدت في الأرض بهذا الدين تنشر أعلامه وترفع راياته وسط البادية للحاق بهذا الركب الحضاري .

حب توبة لليلى في قلب هذه الحداث الذي جاء متزجًا بالشهامة العربية والمبادئ الإسلامية والذي أخذ منحى يشع طهرًا وعفة ونقاء والذي كان جزءًا من ظاهرة الحب العذري الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً إلا في ظل الإسلام وهي تدرك قدسية الرابطة الروحية مع عنف هذا الحب الذي يصل لحد الذوبان والموت ، فتقول لتوبة كما تروي ذلك للحجاج : لا والله يا أمير المؤمنين إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبض الأمر فقلت له :

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها
فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه
وانت الأخرى فارع وخليل

وشهدنا انطلاقة الشاعرة ليلى الأخيلية في دنيا العروبة والإسلام تغدو على الخلفاء والملوك والأمراء في الشام والمدينة والعراق وخراسان .

ويهز كيانها موت حبيبها توبه ، فتملأ الدنيا برثائه . وتوقف شعرها عليه وعلى إبراز مواهبه وطاقاته وشجاعته وشهامته ونبله وفضله

وهاهي تنطلق إلى دنيا جديدة ، بعد عالم حبيبها توبة ، دنيا الشعر والشعراء بجانب زوجها الصحابي سوار بن أوقى في معاركه الأدبية مع نايفة بني جعدة وتحمل لنا ليلى الأخيلية شموخ المرأة العربية المسلمة وعزتها حين ترد على كل من ينتقدها ويهاجمها حتى ولو كان أمير المؤمنين وترفض أن تتنزل له حين يعاتبها على تفضيل توبة عليه في كرمه ، قائلا لها : فماذا أبقيت لنا ؟ قالت الذي أبقاه الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نسبًا قرشيًا ، وعيشًا رخيًا ، وأمرًا مطاعًا . ويجن جنون عبد الملك لتفضيل البدوي الجلف على أمير المؤمنين فتقسم على أمير المؤمنين ألا يلبي حاجتها ، فتمضي غاضبة غير عابئة بأحد مرسلة وراءها قصيدتها التي كانت صواعق على بيت أمير المؤمنين :

أاجعل مثل توبة في ثراه
أبا الذبان قوم الهر رأسي
أفلت خليفة فسواه
أحجي بإمرته وأولي باللئام

وأخيرًا تناول البحث قصائد شعر ليلى في جميع ألفاظه ومبانيه ومعانيه وصوره وأخيلته ، وقوافيه وبحوره . ثم عرض مقارنة مع الشعراء المعاصرين لها .

ثم الإجابة عن التساؤل والتفاوت الكمي بين شعر المرأة والرجل ، ما أسبابه وآثاره ؟ وتوصلت إلى أن المرأة قد تصل من حيث الكيف والنوع إلى مستوى شعر الرجل ، لكنها تبقى من حيث الكم أقل منه بكثير ، لطبيعة رسالة المرأة ومجال اهتمامها واختلافها عن طبيعة رسالة الرجل .

نماذج سلوكية

د . يوسف عثمان محمد

السلوك أحد أسباب الغـــلاء(٥-٥)

تأمل التقشف الذي عاش فيه الرعيل الأول من المسلمين منذ رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وحتى انقضاء الخلافة الراشدة ، ثم تأمل ما خلف من بعدهم من ترف وتوسع في النفقات فهذا الخليفة المأمون بن هارون الرشيد يتزوج .....واسمها خديجة بنت الحسن بن سهل فينثر عليها أبوها وعلى الناس بنادق المسك « وهي الظروف من المسك « مكتوب في ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو ملك جارية أو غلام أو فرس ، فمن وصل إليه من ذلك شيء ملكه ، ونثر ذلك على عامة الناس ، ونثر الدنانير ونوافج المسك « وهي الأوعية فيها المسك ، وبيض العنبر وأنفق على المأمون وعلى عسكره مدة إقامتهم تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم ، فلما رحل المأمون عنه أطلق له عشر آلاف درهم ، وأقطعه فم الصلح ... فلما جلس المأمون فرشوا له حصرًا من ذهب ، ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر . وهناك تور « وهو الإناء « من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين منًا من عنبر .

كان هذا الزواج سنة ٢١٠هجرية ، ثم حكى ابن كثير في البداية والنهاية في أحداث سنة ٢٥١للهجرة حالة الناس فقال في صفحة ١٠من الجزء الحادي عشر ولما تفاقم الأمر واشتد الحال وجاع العيال وجهد الرجال ...».

فإذا قفزنا إلى حالنا اليوم سمعنا عن القادة الذين يكنزون مئات الملايين من الجنيهات من العملات الوطنية ومئات الألوف من الدولارات واليورو ... وسمعنا بمن ينفق ثمانين مليونًا في ليلة واحدة إيجارًا لقاعات مناسبة زواج ابنته ، أليس هذا تبديدًا للموارد ؟ ألسنا نخلق الندرة بهذا التبديد ؟ فلماذا لا ترتفع الأسعار ؟ أليست هذه أنماط سلوكنا ، أليست هذه نتائجها ؟ ألسنا قد صنعنا الأحداث التي نشكو نتائجها ؟ أنريد أن ينزل علينا تغيير لم تصنعه أيدينا ؟ « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم « ، « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير «

صدق الله العظيم

جرائم القصاص وعقوبتها

إعداد د. محمد إبراهيم بشير

الجريمة ظاهرة اجتماعية لها وجودها الحتمي في كل مجتمع وفي كل زمان ومكان ، وهي كل فعل أو امتناع عن فعل يراه المشرع متعارضًا مع القيم والأخلاق والمصالح الاجتماعية واعتداءً على حقوق الأفراد أو الجماعة ، فيتدخل بالنص على العقاب عليه بقانون .

والمجتمع الذي يُطبق فيه القانون وتُنزّل أحكامه في واقع الحياة ، ينعم سكانه بالأمن والاستقرار ، وتقل فيه ظاهرة الإجرام ، وتسود في وسطه القيم الأخلاقية والرّوحية ، وفي حال غياب القانون تعم الفوضى وتنتشر الجرائم .

فالقوانين العقابية شرعت لمنع الناس من اقتراف الجرائم ، لأن النهي عن الفعل او الأمر بإتيانه لا يكفي وحده لحمل الناس على إتيان الفعل أو الانتهاء عنه ، ولولا العقوبات الزاجرة المانعة لكانت الأوامر والنواهي أمورًا ضائعة ، وضربًا من العبث .

فالعقاب هو الذي يجعل للأمر والنهي معنى مفهومًا ونتيجة مرجوة، وهو الذى يزجر الناس عن الجرائم ويمنع الفساد في الأرض ، وحملهم عن الابتعاد عمّا يضرهم ، أو فعل ما فيه خيرهم وصلاحهم .

وأشد الجرائم خطورة على النفس والجسم :القتل العمد ، إتلاف الأطراف عمدًا والجرح العمد ، وهي جرائم يعاقب عليها بالقصاص ، ومعنى القصاص أن يُعاقب الجاني المتعمد بمثل فعله ، فيُقتل كما قتل ، ويُقطع طرفه كما قَطَع الطرف ، ويُجرح كما جرح.

وقد شرع الله القصاص في هذه الجرائم عقوبة مقدرة حقا للأفراد ، ومعنى أنها مقدرة أنّها ذات حد واحد ، فليس لها حد أعلى وحد أدنى تتراوح بينهما ، ومعنى أنها حق للأفراد أن للمجني عليه أن يعفو عنها إذا شاء ، وينتقل هذا الحق لولي المجني عليه إن مات ، فإذا عفا أسقط العفوُ العقوبة المقررة ، والعفو فيها أفضل لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ)البقرة١٧٨. ولقوله : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)المائدة٤٥ ، ولما رواه أنس بن مالك قال : (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رُفع إليه شيء فيه قصاص إلا أمر فيه بالعفو) .

والأصل في تحريم القتل العمد قوله تعالى : (وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الأنعام١٥١ ، ودليل عقوبة القصاص فيه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى)، وقوله عز وجل : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) المائدة٤٥.

ولا يكون القصاص في الأنفس إلا في القتل العمد الذي يقصد المكلف فيه قتل إنسان معصوم من الدم بما يغلب على الظن أن يُقتل به ، سواء أكان يقتل بحده وهو ما يقطع ويدخل في البدن كالسيف ، أم بثقله كالسندان ، أو بغير ذلك كالإحتراق والإغراق والإلقاء من مكانم شاهق ، والخنق ، والحبس عن الطعام والشراب ، وسقي السموم ونحو ذلك من الأفعال) .

وأما دليل تحريم إتلاف الأطراف عمدًا أو الجرح عمدًا والعقاب عليهما بالقصاص ، فهو قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) المائدة٤٥. ، وقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة١٧٩ ، وأيضًا قوله تعالى : (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) البقرة١٩٤ .

وروى أنس بن مالك : (أن الربيع بنت النضر بن أنس كسرت ثنية جارية ، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا إلا القصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال : يا رسول الله تُكسر ثنية الربيع ؟ والذي بعثك بالحق لا تُكسر ثنيتها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنسُ كتاب الله القصاص . قال : فعفا القوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (القصاص في الجراح ثابت في الكتاب والسنة والإجماع ثم قال: والمأثور عن الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين ، أن القصاص مشروع في ذلك ، وهو نص أحمد وغيره من الفقهاء ، وبذلك جاءت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصواب) .

ووفقًا للقانون الجنائي لسنة ١٩٩١م فإن الأطراف والجراح التي يكون فيها القصاص هي :العين المبصرة إذا قُلعت بكاملها، الأنف إلى حد المارن، الأذن السليمة ولا عبرة بالسمع، الشّفة إذا قُطعت كُلّها ولا عبرة في بعضها، السن إذا قرّرت الجهة الطبية المختصة أنه لا يرجى ظهور بدل لها، اللسان إذا استوعبه القطع، اليد إذا كان القطع من مفصل ، وللمجني عليه دية الجزء الزائد على المفصل في حالة الزيادة، الرجل وتُطبق فيها أحكام اليد،الأنامل والأصابع لليدين والرجلين إذا كان القطع من مفصل، الذّكر إذا استوعبه القطع أو كان القطع من الحشفة، الأنثيان وتؤخذ الواحدة بنظيرتها بشرط ضمان سلامة الأخرى، الموضحة وهي الجراح التي تنتهي إلى عظم .